

إعداد

علي بن سعيد بن دعجم

مصدر هذه المادة:







بسم الله الرحمن الرحيم

المقدمة

إن الحمد لله، نحمده ونستعينه ونستغفره، ونعوذ بالله من شرور أنفسنا وسيئات أعمالنا، من يهده الله فلا مضل له، ومن يضلل فلا هادي له، وأشهد أن لا إليه إلا الله وحده لا شريك له وأشـــهد أن محمدا عبده ورسوله، صلى الله عليه وسلم.

أما بعد:

كنتُ قد ذكرت في رسالة سابقة بعنوان (يا...ابن الأربعين) ما أخاطب بها نفسي ومن بلغ أربعين سنة أو جاوزها، وما ينبغي لنـــا في مثل تلك السن.

ومما جاء في مقدمتها ما نصه (وكل واحد ابن لعامــه الـــذي وصل إليه، كما هو مشتهر في لغة العرب، وكما جاء في الحـــديث المتفق عليه في صفة رسول الله صلى الله عليه وسلم ومبعثه : أنـــه أنزل عليه القرآن وهو : ابن أربعين سنة.

أو يكون المرء أخا للعمر الذي هو فيه، كما قال سحيم ابـــن وثيل:

أخو الخمسين مجتمعٌ أشُـــدِّي
وتُجديني مـــداورةُ الشـــؤون

وقد يكون المرء صاحبا للعمر الذي وصل إليه، إذا كان طاعنا في السن، وهذا مشتهر في اللغة، كصاحب الستين فأكثر وربما كان

صاحبا لها لأن الافتراق في الصحبة أكثر من النسب، وأسرع.

وقد ساق ابنُ جرير بسنده إلى رسول الله ﷺ أنه قال : «**لقد أعذر الله صاحب الستين سنة، والسبعين**»(١) والله أعلم.

واليوم أخص صاحب الستين – فأكثر- برسالة مستقلة، فهو أولى بذلك لأسباب كثيرة سيأتي ذكر بعضها.

واستجابة لطلب بعض الأحبة أوجه هذه الرسالة المختصرة إلى من بلغ الستين أو جاوزها، على أن من لم يبلغها وكان بين الستين والأربعين فإن الرسالتين مكملتان لبعضهما.

وبلوغ الستين من الشيخوخة عند أهل العلم واللغة.

ففي تحفة القارئ: سن الشباب خمس وثلاثون سنة، وسن الكهولة خمسون سنة، وسن الشيخوخة ستون سنة (٢).

فالشيخ هو الذي استبانت فيه السن وظهر عليه الشيب، وقيل: هو شيخ من خمسين إلى آخره، والجمع أشياخ وشيخان وشيوخ ومشايخ، وفي الحديث ذكر شيخان قريش : جمع شيخ كضيف وضيفان، والأنثى شيخة، وقد شاخ يشيخ شيخا، وشيخته : دعوته شيخا للتبجيل(٣).

ويقال لمن طعن في السن : الشيخ، وقد يعبر به فيما بيننا عمن

---

(١) تفسير الطبري،(١٤٢/٢٢) مكتبة الحلبي.

(٢) دليل الفالحين ، (٢١٤/١) للصديقي الشافعي ، دار الفكر بيروت.

(٣) لسان العرب، (٣١/٣ ، ٣٢) دار صادر بيروت.

يكثر علمه، لما كان من شأن الشيخ أن تكثر تجاربه ومعارفه، ويقال شيخ بين الشيخوخة [1].

وأحب أن أبيّن – ابتداءً – أني لا أدعو صاحب الســـتين إلى اليأس والقنوط وترك الدنيا تماماً، بل أدعوه إلى مزيد اهتمام بما هو مقبل عليه (الآخرة)، أكثر من اهتمامه بما هو مدبر عنه (الدنيا).

سائلا الله تعالى أن ينفع بها كاتبها وقارئها، والله تعالى أعلـــى وأعلم، وصلى الله على نبينا محمد وعلى آله وأصـــحابه وأتباعـــه بإحسان إلى يوم الدين، وسلم تسليماً كثيراً.

على بن سعيد بن حسين بن دعجم

إبها – ص. ب. :٢٥٢٣

جمادي الأولى ١٤٢٥هـ

(١) الغريب في مفردات القرآن ، مكتبة الأنجلو المصرية.

الستون لماذا؟!

لقد خص رسول الله ﷺ الستين بالذكر كما سيأتي، لـــذلك حق على من قاربها، أو بلغها، أو جاوزها، أن يتأمل في هذه الآثار الواردة فيها.

ولقد فطن سلفنا الصالح إلى أمر الستين فأولوها عناية زائـــدة خاصة بها، واستقبلوها خير استقبال، فهذا البخاري – رحمه الله – قد تكلم في صحيحه عن الستين عاما فقال:

باب من بلغ ستين سنة فقد أعذر الله إليه في العمر لقوله تعالى: ﴿**أَوَلَمْ نُعَمِّرْكُمْ مَا يَتَذَكَّرُ فِيهِ مَنْ تَذَكَّرَ وَجَاءَكُمُ النَّذِيرُ**﴾ [فاطر: ٣٧]، النذير يعني الشيب، ثم أورد بسنده حديثا عن أبي هريـــرة – رضي الله عنه – عن النبي ﷺ قال: «**أعذر الله إلى امرئ أخر أجله حتى بلغه ستين سنة**».

قال النووي: قال العلماء : معناه لم يترك له عذراً إذ أمهله هذه المدة، يقال: أعذر الرجل إذا بلغ الغاية في العذر [(١)].

قال ابن منظور: وفي الحديث : «**لقد أعذر الله إلى من بلغ من العمر ستين سنة**» أي: لم يبق فيه موضعا للاعتذار حيـــث أمهلـــه طول هذه المدة و لم يعتذر، يقال : أعذر الرجل إذا بلغ أقصى الغاية في العذر، وفي حديث المقداد: لقد أعذر الله إليك، أي : عـــذرك

---

(١) رياض الصالحين ص ١١٦، دار الفكر ، دمشق.

وجعلك موضع العذر[١].

قال رسول الله ﷺ : «**معترك المنايـــا مـــا بـــين الســـتين إلى السبعين**» وزاد عند ابن ماجة : «**وأقل أمـــتي أبنـــاء الســـبعين سنة**»[٢].

والمعترك أي : موضع القتال، أو موضع الحـــرب، أو موضـــع العراك والمعاركة[٣]، فكأن هذا السن ميدان حرب يكثر فيها الموت.

وبوب النووي في رياض الصالحين: باب الحث على الازديـــاد من الخير في أواخر العمر، قال الله تعالى : ﴿**أَوَلَمْ نُعَمِّرْكُمْ مَا يَتَذَكَّرُ فِيهِ مَنْ تَذَكَّرَ وَجَاءَكُمُ النَّذِيرُ**﴾، قال ابن عباس — رضي الله عنهما — والمحققون : معناه أو لم نعمركم ستين سنة [٤].

قال الصديقي في شرح هذا الباب : (باب الحث) أي الحض، (على الازدياد) افتعال من الزيادة (من الخير) أي الطاعات والـــبر الموصلة إلى مرضاة الله — عز وجل –، (في أواخر العمر) لأنه أوان الختام، وبحسنه تحصل ثمرات الطاعات وبركات الحسنات.

إلى أن قال: ﴿**أَوَلَمْ نُعَمِّرْكُمْ**﴾هو استفهام توبيخ وتقرير، ﴿**مَـــا**

---

(١) لسان العرب، (٥٤٦/٤).

(٢) حسنه الألباني برقم (٥٤٥٧) في صحيح الجامع ، المكتب الإسلامي بيروت.

(٣) لسان العرب ، (٤٦٤/١٠ ، ٤٦٥) القاموس المحيط ص ١٢٢٥ ط٢ مؤسسة الرسالة بيروت.

(٤) رياض الصالحين ص ١١٥، ومثله في حلية الأولياء ، (٥١/٨) ، دار الكتاب العربي بيروت.

﴿يَتَذَكَّرُ فِيهِ مَنْ تَذَكَّرَ﴾ ما موصولة، أي : المدة التي يتذكر فيها المتذكر، ويجوز أن تكون نكرة موصوفة، أي تعميراً أو زمناً يتذكر فيه من تذكر **﴿وَجَاءَكُمُ النَّذِيرُ﴾**[١].

وذلك لأن (من أتت عليه ستون سنة فقد أعذر الله إليه في العمر، أي بسط عذره على مواضع التملق به، وطلب العذر إليه، كما يقال لمن فعل ما نهي عنه ما حملك على هذا ؟ فيقول: خدعني فلان، وغرني كذا، ورجوت كذا وخفت كذا)[٢].

قال الخطابي : أعذر إليه أي بلغ به أقصى العذر، ومنه قولهم : قد أعذر من أنذر، أقام عذر نفسه في تقديم نذارته، والمعنى : أن من عمره الله ستين سنة لم يبق له عذر، لأن الستين قريب من معترك المنايا، وهو سن الإنابة والخشوع وترقب المنية ولقاء الله تعالى [٣].

(والإنسان لا يزال في ازدياد إلى كمال الستين، ثم يشرع بعد هذا في النقص والهرم، كم قال الشاعر:

إذا بلغ الفتى ستين عاماً
فقد ذهب المسرة والفتاء

لما كان هذا العمر الذي يعذر الله تعالى إلى عباده ويزيح به عنهم العلل، كان هو الغالب على أعمار هذه الأمة كما ورد بذلك الحديث عن أبي هريرة – رضي الله عنه – قال: قال رسول الله ﷺ:

(١) دليل الفالحين ، (٣٣٢/١).

(٢) فيض القدير للمناوي ، (٢٥/٦) دار المعرفة ، بيروت.

(٣) تفسير القرطبي ، (٣٥٢/١٤) دار الكتب المصرية.

«**أعمار أمتي ما بين الستين إلى السبعين، وأقلهم من يجوز ذلك**» رواه الترمذي وابن ماجة [(١)].

قال ابن بطال: إنما كانت الستون حدًّا لهذا لأنها قريبة من المعترك، وهي سن الإنابة والخشوع وترقب المنية، فهذا إعذار بعد إعذار لطفا من الله بعباده، حتى نقلهم من حالة الجهل إلى حالة العلم، ثم أعذر إليهم فلم يعاقبهم إلا بعد الحجج الواضحة، وإن كانوا فطروا على حب الدنيا وطول الأمل لكنهم أمروا بمجاهدة النفس في ذلك ليمتثلوا ما أمروا به من الطاعة وينزجروا عما نهوا عنه من المعصية، وفي الحديث إشارة إلى أن استكمال الستين مظنة لانقضاء الأجل، وأصرحُ من ذلك ما أخرج الترمذي بسند حسن إلى أبي سلمة بن عبد الرحمن عن أبي هريرة – رضي الله عنهم – رفعه: «**أعمار أمتي ما بين الستين إلى السبعين وأقلهم من يجوز ذلك**».

وقال بعض الحكماء الأسنان أربعة : سن الطفولة، ثم الشباب، ثم الكهولة، ثم الشيخوخة، وهي آخر الأسنان وغالب ما يكون ما بين الستين والسبعين فحينئذ يظهر ضعف القوة بالنقص والانحطاط، فينبغي له الإقبالُ على الآخرة بالكلية لاستحالة أن يرجع إلى الحالة الأولى من النشاط والقوة، وقد استنبط منه بعض الشافعية أن من استكمل ستين فلم يحج مع القدرة فإنه يكون مصراً، ويأثم إن مات

---

(١) تفسير ابن كثير ، (٣/٨٩٠) دار الكتب العلمية ، بيروت ، والحديث صحيح، في صحيح الجامع برقم ١٠٨٤.

قبل أن يحج بخلاف ما دون ذلك [١].

ومن لم يكن في هذه السن على حال يرضاه الله تعالى — وقــد دنا أجله و لم يبق إلا القليل — أو على أقل الأحوال يعــزم عزمــا جازماً صادقا على التوبة والإنابة، فبالله متى ستكون هذه التوبة؟!

إن الغالب أن المرء في هذه السن تضعف قواه، وتقل عزيمتــه، فحق عليه أن يستسلم لمولاه، ويستعتب بين يديه، فإنــه الغفــور الودود.

قال القرطبي : جعل الستين غاية الإعذار لأن الستين قريب من معترك العباد، وهو سن الإنابة والخشوع والاستسلام لله، وترقــب المنية ولقاء الله، ففيه إعذار بعد إعذار [٢].

وإذا بلغ ستين سنة وهو عمر التذكر والتوفيق الذي قــال الله تعالى فيه: ﴿**أَوَلَمْ نُعَمِّرْكُمْ مَا يَتَذَكَّرُ فِيهِ مَنْ تَذَكَّرَ**﴾ حببــت إليــه الإنابة أي الرجوع إليه لكونه مظنة انتهاء العمر غالباً [٣].

هذا وإن (في بلوغ العمر أربعين ســنة اســتكمال الشــباب واستجماع القوة وهو عمر تام ولا يزال بعده في نقصان وإدبــار.. فإذا بلغ ستين سنة، وهو عمر التذكر والتوقف، قــال ﷺ : «**إذا كان يوم القيامة نودي أبناءُ الستين: ﴿أَوَلَمْ نُعَمِّرْكُمْ مَا يَتَذَكَّرُ فِيهِ**

(١) فتح الباري ، (١١/٢٤٠) دار المعرفة بيروت.

(٢) القرطبي (٧/٢٧٧).

(٣) فيض القدير، (٤/٤٨٧).

مَنْ تَذَكَّرَ﴾» فإذا عمُر ستين سنة فقـــد جـــاء أوان التـــذكر، لأن الأربعين منتهى استتمام القوة، فإذا جاوز إلى ستين فقد أتى عليـــه عشرون سنة في النقصان وهو نصف الأربعين الذي هو منتهى القوة فقد افتقد من نفسه نصف القوة فلذلك صار حجة عليه فأوجب له حرمة بأن رزقه الإنابة إليه فيما يحب وهو التذكر، فإنه إذا تـــذكر رزقه الإنابة إليه في الطاعات، و لم يخذله حتى يصير عمـــره وبـــالاً وحجة عليه)(١).

وبتصفح سريع لكثير من الإصدارات والمواقع الرسميـــة وشـــبه الرسمية، على شبكة الانترنت لأنظمة الخدمة المدنية وبعض المواقـــع العسكرية للدول العربية وغير العربية، فإن الغالب أن يحال الموظف للتقاعد عن الستين، والمرأة أقل أحياناً، ويمدد للبعض باســـتثناءات خاصة (٢).

(١) نوادر الأصول في أحاديث الرسول ﷺ ص ٧٩، للحكيم الترمذي ، المكتبة العلمية بالمدينة النبوية.

(٢) انظر أيضا نظام التقاعد المدني والمذكرة الإيضاحية ، في المملكة ص(١٨) مطابع الحكومة ١٤٠٤هـــ.

الستون في القرآن والسنة

لم يرد لفظ الستين عاماً صريحاً في القرآن الكريم، ولكن صرح رسول الله ﷺ – كما مر قريباً وكما سيأتي – بأن من بلغوا الستين عاما هم المعنيون بقوله تعالى : ﴿**أَوَلَمْ نُعَمِّرْكُمْ مَا يَتَذَكَّرُ فِيهِ مَنْ تَذَكَّرَ**﴾ وكذلك فهم كثير من الصحابة – رضي الله عنهم – وكثير من العلماء بعدهم : أن التعمير المذكور في الآية يكون ببلوغ الستين.

ورجح ابن حجر هذا المعنى للتعمير وأن ببلوغ الستين فقال عند شرح حديث البخاري : (وقوله: باب من بلغ ستين سنة فقد أعذر الله إليه في العمر لقوله تعالى: ﴿**أَوَلَمْ نُعَمِّرْكُمْ مَا يَتَذَكَّرُ فِيهِ مَنْ تَذَكَّرَ وَجَاءَكُمُ النَّذِيرُ**﴾: واختلفوا أيضا في المراد بالتعمير في الآية على أقوال:

أحدها : أنه أربعون سنة.

والثاني: ست وأربعون سنة.

والثالث: سبعون سنة.

والرابع: ستون، وتمسك قائله بحديث الباب، وورد في بعض طرقه التصريح بالمراد فأخرجه أبو نعيم في المستخرج عن أبي هريرة – رضي الله عنه – بلفظ : العمر الذي أعذر الله فيه لابن آدم ستون سنة : ﴿**أَوَلَمْ نُعَمِّرْكُمْ مَا يَتَذَكَّرُ فِيهِ مَنْ تَذَكَّرَ**﴾وأخرجه ابن مردويه.

الخامس: التردد بين الستين والسبعين، أخرجه ابن مردويه عن أبي هريرة – رضي الله عنه – بلفظ : «**من عمُر ستين أو سبعين سنة فقد أعذر الله إليه في العمر**».

وأصح الأقوال في ذلك : ما ثبت في حديث الباب – أي حديث البخاري – ويدخل في هذا حديثُ : «**معترك المنايا مابين ستين وسبعين**» [١].

وبوب ابن حبان في صحيحه فقال: فصل في أعمار هذه الأمة... ذكر الإخبار عما أمهل الله – جل وعلا – للمسلمين في أعمارهم واكتساب الطاعات ليوم فقرهم فاقتهم.

ثم أورد عن أبي هريرة – رضي الله عنه – أن رسول الله ﷺ قال : «**من عمره الله ستين سنة فقد أعذر إليه في العمر**»، ثم قال بعدها: الإخبار عن وصف العدد الذي به يكون عام أعمار الناس، وساق حديثا عن أبي هريرة – رضي الله عنه – قال : قال رسول الله ﷺ : «**أعمار أمتي ما بين الستين إلى السبعين، وأقلهم من يجوز ذلك**»[٢].

وإذا بلغ ستين سنة وهو عمر التذكر والتوفيق الذي قال الله تعالى فيه: ﴿**أَوَلَمْ نُعَمِّرْكُمْ مَا يَتَذَكَّرُ فِيهِ مَنْ تَذَكَّرَ**﴾ حببت إليه الإنابة أي الرجوع إليه لكونه مظنة انتهاء العمر غالباً[٣]، وحديث:

---

(١) فتح الباري (٢٣٩/١١) بتصرف يسير.

(٢) صحيح ابن حبان ، (٢٤٥/٧ – ٢٤٧).

(٣) فيض القدير ، (٤٥٧/٤).

«إذا كان يوم القيامة نودي : أين أبناء الستين من السنين؟» وهو العمر الذي قال الله تعالى فيه في كتابه العزيز: ﴿**أَوَلَمْ نُعَمِّرْكُمْ**﴾- ما مفعول مطلق أي تعميراً - ﴿**يَتَذَكَّرُ فِيهِ مَنْ تَذَكَّرَ**﴾أي أراد أن يتذكر، ومبدأ التذكر تمام العقل وهو بالبلوغ، والستون نهاية زمن التذكر، وما بعده هرم [(١)].

قال ابن حجر: قوله: باب العمل الذي يبتغي به وجه الله تعالى، ثبتت هذه الترجمة للجميع، ثم أخذ في بيان المناسبة لترجمة من بلغ ستين سنة فقال: خشي المصنف أن يظن أن من بلغ الستين وهو مواظب على المعصية أن ينفذ عليه الوعيد، فأورد هذا الحديث المشتمل على أن كلمة الإخلاص تنفع قائلها، إشارة إلى أنها لا تخص أهل عمر دون عمر ولا أهل عمل دون عمل، قال : ويستفاد منه أن التوبة مقبولة ما لم يصل إلى الحد الذي ثبت النقل فيه أنها لا قبول معه وهو الوصول إلى الغرغرة، وتبعه ابن المنير فقال : يستفاد منه أن الأعذار لا تقطع التوبة بعد ذلك وإنما تقطع الحجة التي جعلها الله للعبد بفضله، ومع ذلك فالرجاء باقٍ.. أما معنى الإعذار في قوله ﷺ «**أعذر الله**» فالإعذار : إزالة العذر، والمعنى أنه لم يبق له اعتذار، كأن يقول: لو مد لي في الأجل لفعلت ما أمرت به، يقال أعذر إليه إذا بلغه أقصى الغاية في العذر ومكنه منه، وإذا لم يكن له عذر في ترك الطاعة مع تمكنه منها بالعمر الذي حصل له فلا ينبغي له حينئذ إلا الاستغفار والطاعة والإقبال على الآخرة بالكلية، ونسبة

---

(١) المرجع السابق، (٤٥٧/٤)، (٤٢٠/١).

الأعذار إلى الله مجازية، والمعنى أن الله لم يترك للعبد سبباً في الاعتذار يتمسك به، والحاصل أنه لا يعاقب إلا بعد حجة، وقولـــه : أخْـــر أجله، يعني أطاله حتى بلَّغه ستين سنة، وفي رواية معمـــر : «**لقـــد أعذر الله إلى عبد أحياه حتى يبلغ ستين سنة أو سبعين سنة لقـــد أعذر الله إليه، لقد أعذر الله إليه...**» وعن أبي هريرة – رضي الله عنه – بلفظ : «**من أتت عليه ستون سنة فقد أعذر الله إليـــه في العمر**»[1].

ويكاد ينعقد إجماع المفسرين على أن التعمير المذكور في آيـــة فاطر هو ببلوغ الستين

قال الطبري: اختلف أهل التأويل في مبلغ ذلك فقال بعضهم : ذلك أربعون سنة، وقال آخرون : بل ذلك ستون سنة.

وعن ابن عباس – رضي الله عنهما – قال : قال رســـول الله ﷺ : «**إذا كان يوم القيامة نودي أين أبناء الستين؟ وهو العمـــر الذي قال الله: ﴿أَوَلَمْ نُعَمِّرْكُمْ مَا يَتَذَكَّرُ فِيهِ مَنْ تَذَكَّرَ وَجَـــاءَكُمُ النَّذِيرُ﴾**» قال رسول الله ﷺ : «**لقد أعذر الله إلى صاحب الستين سنة والسبعين**».

وعن أبي هريرة – رضي الله عنه – قال: قال رسول الله ﷺ : «**من عمره الله ستين سنة فقد أعذر الله إليه في العمر**».

وعن علي – رضي الله عنه – في قوله : **﴿أَوَلَمْ نُعَمِّرْكُمْ مَا**

(١) فتح الباري ، (١١/٢٤٠ – ٢٤٢).

يَتَذَكَّرُ فِيهِ مَنْ تَذَكَّرَ وَجَاءَكُمُ النَّذِيرُ﴾قال: العمر الذي عمركم الله به ستون سنة، وهو أشبه القولين بتأويل الآية.

وقوله: ﴿**وَجَاءَكُمُ النَّذِيرُ**﴾ اختلف أهل التأويل في معنى النذير فقال بعضهم : عني به محمداً ﷺ، وقرأ : ﴿**هَذَا نَذِيرٌ مِنَ النُّذُرِ الْأُولَى**﴾[النجم :٥٦].

وقيل : عنى به الشيب، فتأويل الكلام إذا : ﴿**أَوَلَمْ نُعَمِّرْكُمْ مَا يَتَذَكَّرُ فِيهِ مَنْ تَذَكَّرَ وَجَاءَكُمُ النَّذِيرُ**﴾ قال: العمر الذي عمركم الله به ستون سنة، وهو أشبه القولين بتأويل الآية.

وقوله: ﴿**وَجَاءَكُمُ النَّذِيرُ**﴾ اختلف أهل التأويل في معنى النذير فقال بعضهم : عني به محمدا ﷺ، وقرأ: ﴿**هَذَا نَذِيرٌ مِنَ النُّذُرِ الْأُولَى**﴾ [النجم:٥٦].

وقيل : عني به الشيب، فتأويل الكلام إذا : ﴿**أَوَلَمْ نُعَمِّرْكُمْ**﴾ يا معشر المشركين بالله من قريش من السنين ﴿**مَا يَتَذَكَّرُ فِيهِ مَنْ تَذَكَّرَ**﴾ من ذوي الألباب والعقول، واتعظ منهم من اتعظ وتاب من تاب، وجاءكم من الله منذر ينذركم ما أنتم فيه اليوم من عذاب الله، فلم تتذكروا مواعظ الله و لم تقبلوا من نذير الله الذي جاءكم ما أتاكم به من ربكم [(١)].

ورجح ابن كثير نفس الاختيار عند قوله تعالى: ﴿**أَوَلَمْ نُعَمِّرْكُمْ مَا يَتَذَكَّرُ فِيهِ مَنْ تَذَكَّرَ وَجَاءَكُمُ النَّذِيرُ**﴾، فقال: (أي أو ما عشتم

---

(١)تفسير الطبري ، (٢٢/١٤١-١٤٢).

في الدنيا أعمارا لو كنتم ممن ينتفع بالحق لا نتفعـــتم بـــه في مـــدة عمركم.

وعن ابن عباس – رضي الله عنهما – قال : (العمر الذي أعذر الله فيه لابن آدم في قوله: ﴿**أَوَلَمْ نُعَمِّرْكُمْ مَا يَتَـــذَكَّرُ فِيـــهِ مَـــنْ تَذَكَّرَ**﴾ستون سنة، فهذه الرواية أصح عـــن ابـــن عبـــاس وهـــي الصحيحة في نفس الأمر أيضا لما ثبت في ذلك من الحديث)[1].

والقرطبي يقول عن هذا السن : (فيه إعذار بعد إعـــذار الأول بالنبي ﷺ، والموتان : في الأربعين والستين، قال علي وابن عبـــاس وأبو هريرة – رضي الله عنهم – في تأويل قوله تعـــالى : ﴿**أَوَلَـــمْ نُعَمِّرْكُمْ مَا يَتَذَكَّرُ فِيهِ مَنْ تَذَكَّرَ**﴾ إنه ستون سنة.

وقد روي عن النبي ﷺ أنه قال في موعظته : «**ولقد أبلغ مـــن تقدم في الإنذار، وإنه لينادي منادٍ من قِبل الله تعالى أبناء الستين: ﴿أَوَلَمْ نُعَمِّرْكُمْ مَا يَتَذَكَّرُ فِيهِ مَنْ تَذَكَّرَ وَجَاءَكُمُ النَّذِيرُ﴾**».

وقوله تعالى: ﴿**وَجَاءَكُمُ النَّذِيرُ**﴾ وقرئ (وجـــاءتكم النـــذر) واختلف فيه فقيل : القرآن، وقيل: الرسول ﷺ، قاله زيد بن علـــي وابن زيد، وقال ابن عباس – رضي الله عنهما – وعكرمة وسفيان ووكيع والحسين بن الفضل والفراء والطبري: هو الشيب، وقيـــل : النذير الحمى، وقيل : موت الأهل والأقارب، وقيل : كمال العقل، والنذير بمعنى الإنذار)[2].

---

(١)تفسير ابن كثير ، (٣/٨٨٩).

(٢) تفسير القرطبي ، (١٤/٣٥٢ – ٢٥٤).

ألا وإن من بلغ الستين لابد أنه قد مرَّ عليه الشيب والحمَّى وموت بعض الأهل والأقارب، وقد كمل عقله.

أما السيوطي فقد أورد أحاديث كثيرة في نفس السياق مرجحاً هذا الاختيار بأحاديث قطعية الصحة كالتي عند البخاري وغيره وأحاديث صحت لغيرها، فقال: (وأخرج عبد الرزاق والفريابي وسعيد بن منصور وعبد بن حميد وابن جرير وابن المنذر وابو الشيخ والحاكم وصححه وابن مردوية عن ابن عباس رضي الله عنهما في قوله : ﴿**أَوَلَمْ نُعَمِّرْكُمْ مَا يَتَذَكَّرُ فِيهِ مَنْ تَذَكَّرَ وَجَاءَكُمُ النَّذِيرُ**﴾ قال ستين سنة.

وأخرج الحكيم الترمذي في نوادر الأصول والبيهقي في سننه وابن جرير وابن المنذر وابن أبي حاتم والطبراني وابن مردوية والبيهقي في (شعب الإيمان) عن ابن عباس رضي الله عنهما أن النبي ﷺ قال : «**إذا كان يوم القيامة قيل : أين أبناء الستين ؟ وهو العمر الذي قال الله فيه : ﴿أَوَلَمْ نُعَمِّرْكُمْ مَا يَتَذَكَّرُ فِيهِ مَنْ تَذَكَّرَ وَجَاءَكُمُ النَّذِيرُ﴾**».

وأخرج أحمد وعبد بن حميد والبخاري والنسائي والبزار وابن جرير وابن أبي حاتم والحاكم وابن مردويه عن سهل بن سعد — رضي الله عنه — قال : قال رسول الله ﷺ : «**أعذر الله إلى امرئ أخر عمره حتى بلغ ستين سنة**».

وأخرج عبد بن حميد والطبراني والروياني في الأمثال والحاكم وابن مردويه عن سهل بن سعد — رضي الله عنه — قال : قال

رسول الله ﷺ «**إذا بلغ العبد ستين سنة فقد أعذر الله إليه في العمر**».

وأخرج ابن جرير عن علي – رضي الله عنه – في الآية قال : العمر الذي عمرهم الله به ستون سنة.

وأخرج الرامهرمزي في الأمثال عن أبي هريرة رضي الله عنه أن رسول الله ﷺ قال : «**من عمره الله ستين سنة، أعذر إليه في العمر**» يريد: ﴿**أَوَلَمْ نُعَمِّرْكُمْ مَا يَتَذَكَّرُ فِيهِ مَنْ تَذَكَّرَ**﴾.

وأخرج الترمذي وابن المنذر والبيهقي عن أبي هريرة – رضي الله عنه – قال : قال رسول الله ﷺ : «**أعمار أمتي ما بين الستين إلى السبعين، وأقلهم من يجوز ذلك**».

وأخرج عبد بن حميد عن مجاهد قال: العمر ستون سنة)[1].

وقال به الشوكاني: أي : عمراً يتمكن من التذكر فيه من تذكر، فقيل : هو ستون سنة، وقال به جمع من الصحابة.

وقال البيضاوي: والعطف على معنى ﴿**أَوَلَمْ نُعَمِّرْكُمْ**﴾ فإنه للتقرير كأنه قال: عمرناكم وجاءكم النذير، قال ابن عباس – رضي الله عنهما – والمحققون من المفسرين: معناه أو لم نعمركم ستين سنة، ويؤيده الحديث الذي سنذكره) أول أحاديث الباب – إن شاء الله تعالى –.

وعند ابن أبي حاتم عن عطاء مرفوعاً : «**إذا كان يوم القيامة**

(١) الدر المنثور ، (٧/٣٠-٣٣) نشر محمد دمج.

قيل : أين أبناء الستين ؟ وهو العمر الذي قال الله تعالى فيه : ﴿أَوَلَمْ نُعَمِّرْكُمْ مَا يَتَذَكَّرُ فِيهِ مَنْ تَذَكَّرَ﴾».

(وقيل: معناه) أو لم نعمركم (ثماني عشرة سنة) قال ابن الجوزي في (زاد المسير) : قاله عطاء ووهب بن منبه وأبو العالية وقتادة، قال قتادة : طول العمر حجة، فنعوذ بالله أن نغتر بطول العمر، قد نزلت هذه الآية : وإن فيهم لابن ثماني عشرة سنة (١).

وعند قوله تعالى:**﴿وَمَا يُعَمَّرُ مِنْ مُعَمَّرٍ وَلَا يُنْقَصُ مِنْ عُمُرِهِ إِلَّا فِي كِتَابٍ﴾**[فاطر: ١١] قال قتادة: المعمر من يبلغ ستين سنة، والمنقوص من عمره من يموت قبل ستين سنة (٢).

عن أنس – رضي الله عنه – قال : قال رسول الله ﷺ : «**ألا أنبئكم بخياركم؟**» قالوا: بلى، يا رسول الله، قال: «**خياركم أطولكم أعمارًا إذا سددوا**»(٣).

وعن أنس – رضي الله عنه – أن النبي ﷺ قال : «**إذا أراد الله بعبد خيراً استعمله**»، قيل : كيف يستعمله؟ قال: «**يوفقه لعمل صالح قبل الموت**».

---

(١) تفسير البيضاوي ، ص ٥٧٤، دار الجيل بيروت ، وفتح القدير الشوكاني ، (٣٥٤/٤) دار المعرفة بيروت.

(٢) تفسير القرطبي ، (٣٣٣/١٤) ابن كثير ، (٥٥١/٣) فتح القدير للشوكاني ، (٣٤٢/٤) الدر المنثور (١٢/٧).

(٣) رواه أبو يعلي بإسناد حسن ، الترغيب والترهيب للمنذري ، (٧٣/٦) دار الفكر بيروت.

وفي رواية لأحمد: «**يوفقه لعمل صالح قبل الموت ثم يقبضه عليه**»[1].

وجاء في الحديث الصحيح عن عمرو بن الحمق رضي الله عنه قال: قال رسول الله ﷺ: «**إذا أراد الله بعبد خيراً عسَّله**»، قيل: وماعسله؟ قال: «**يفتح له عملا صالحاً بين يدي موته حتى يرضى عنه جيرانه**» أو قال: «**من حوله**».

ومعنى عسَّله: بفتح العين والسين المهملتين من العسل وهو طيب الثناء، وقال بعضهم: هذا مثل، أي وفقه الله لعمل صالح يتحفه به كما يتحف الرجل أخاه إذا أطعمه العسل[2].

قال الألباني: عسَّله بفتح العين والسين تخفف أو تشدد، أي: طيب ثناءه بين الناس[3].

وفي حديث آخر قال ﷺ : «**إذا أراد الله بعبد خيرا عسله**»، قيل: وما عسله؟ قال: «**يفتح له عملا صالحا قبل موته، ثم يقبضه عليه**»[4].

وقال رسول الله ﷺ «**ألا أنبئكم بخيركم؟**» قالوا: بلى، قال

---

(١) الترغيب والترهيب ، (٦/٧١-٧٣)، والحديث صحيح برقم (٣٠٢) في صحيح الجامع ، رواه الجامع ، رواه الحاكم وقال: صحيح على شرطهما.

(٢) الترغيب والترهيب، (٦/٧٢) وسلسلة الأحاديث الصحيحة، (٣/١١١٤) رواه أحمد وابن حبان في صحيحه والحاكم والبيهقي وغيرهم.

(٣) صحيح الجامع (١/١٤٣) من الحاشية.

(٤) حديث صحيح في صحيح الجامع برقم (٣٠٤).

ﷺ: «**خياركم أطولكم أعماراً، وأحسنكم أعمالاً**»[(١)]

وفي حديث آخر، قال ﷺ : «**خياركم : أطولكم أعماراً وأحسنكم أعمالاً**»[(٢)].

* * *

الستون عند العلماء وأهل الفضل

تكلم الأخيار عن سن الستين، ووعظوا وذكروا، وخصوها – قولاً وعملاً – بما ينبغي لها. فمما يذكر عن عيسى بن مريم – عليهما السلام – أنه مر بمشيخة فقال: معاشر الشيوخ أما علمتم أن الزرع إذا أبيض ويبس واشتد فقد دنا حصاده؟ قالوا : بلى، قال: فاستعدوا فقد دنا حصادكم [(٣)].

ولقد ذكر عن معاوية بن أبي سفيان – رضي الله عنهما – أنه قال في مرض موته : إن مرض عضو مني فما أحصى صحتي، وما عوفيت منه أطول، أنا اليوم ابن ستين سنة، فرحم الله عبداً دعا لي بالعافية[(٤)].

---

(١) رواه أحمد ورواته رواة الصحيح ، وابن حبان في صحيحه والبيهقي ورواه الحاكم وقال: صحيح على شرطهم : الترغيب والترهيب (٦/٧٢).

(٢) وهو صحيح في صحيح الجامع برقم (٣٢٥٧).

(٣) حلية الأولياء (٦/٥٥، ٦٥).

(٤) .حلية الأولياء (٩/١٥٤)

وهذا (توبة بن الصمة وكان بالرقة، وكـــان محاســـباً لنفســـه فحسب يوماً فإذا هو ابن ستين سنة فحسب أيامها فإذا هي أحـــد وعشرين ألف يوم وخمسمائة يوم فصرخ وقال: يا ويلـــتي، ألقـــي المليك بواحد وعشرين ألف وخمسمائة ذنب، كيف وفي كل يـــوم ذنب؟! ثم خر مغشياً عليه فإذا هو ميت، فسمعوا قائلاً يقول : يـــا لك ركضةٌ إلى الفردوس الأعلى.

فهكذا ينبغي للمرء أن يحاسب نفسه على الأنفـــاس وعلـــى معصية بالقلب والجوارح في كل ساعة، ولو رمى العبد بكل معصية حجرًا في داره لامتلأت داره في مدة يسيرة قريبة من عمره، ولكنه يتساهل في حفظ المعاصي والملكان يحفظان عليه ذلك ﴿**أَحْصَاهُ اللَّهُ وَنَسُوهُ**﴾[1].

قال إسماعيل بن عبيد الله : قال لي عمر بن عبد العزيـــز : يـــا إسماعيل كم أتت عليك من سنة؟ قلت: ستون سنة وشهور، قال: يا إسماعيل إياك والمزاح [2].

قال الشاعر:

والشيبُ يقطعُ من ذي اللـــهو شـــهوتَه
ويُـــذْهب المـــزْحَ ممَّـــن كـــان مزَّاحـــاً

ألا وإن خير الهدي هدي محمد ﷺ، فقد كان يمازح أصحابه،

(١) إحياء علوم الدين ، (٤٠٦/٤) دار المعرفة بيروت ، صفة الصفوة ، (٦٩١/٤) دار المعرفة بيروت.

(٢) حلية الأولياء ، (٣٤٢/٥).

ولعل عمر بن عبد العزيز رحمه الله والشاعر يرميان إلى أن من بلغ هذه السن فعليه أن لا يستكثر من المزاح، بحيث يكون غالباً عليه، بل الأكمل له في هذا السن المتقدم الوقار والحلم، وغلبةُ الجد والخشوع وكثرة الذكر والاستغفار.

وصدق الشاعر:

ألا إن سفاه الشيخ لا حلم بعده

وهذا المسيب بن نجبة بعد مقتل علي بن أبي طالب – رضي الله عنه – يتقدم بعض أصحابه بالكلام فيقول بعد أن حمد الله وأثنى عليه وصلى على نبيه ﷺ : أما بعد، فإنا قد ابتلينا بطول العمر والتعرض لأنواع الفتن، فنرغب إلى ربنا ألا يجعلنا ممن يقول له غداً ﴿**أَوَلَمْ نُعَمِّرْكُمْ مَا يَتَذَكَّرُ فِيهِ مَنْ تَذَكَّرَ وَجَاءَكُمُ النَّذِيرُ**﴾ فإن أمير المؤمنين–رضي الله عنه – قال : العمر الذي أعذر الله فيه إلى ابن آدم ستون سنة [(١)].

أما أبو الشعثاء جابر بن زيد الذي قال عنه قتادة : بأنه أعلم أهل الأرض في زمانه، فإنه أتى أصحابه ذات يوم في مصلاهم وعليه نعلان خلقان فقال: مضى من عمري ستون سنة، نعلاي هاتان أحب إلي مما مضى منه إلا أن يكون خيراً قدمته [(٢)].

وعن الهيثم بن عدي قال: سمعت خويل بن محمد الأزدي وكان

---

(١) تاريخ الطبري ، (٣/٣٩٠) دار المعرفة القاهرة.

(٢) البداية والنهاية ، (٩/٩٤) مكتبة المعارف بيروت ، حلية الأولياء ، (٣/٨٨).

عباداً يقول: كأن خويلاً قد وقف للحساب فقيل له : يا خويل قد عمرناك ستين سنة فما صنعت فيها؟ فجمع نوم الليل مـــع قائلـــة النهار فإذا قطعة من عمري نوم، وجمعت ساعات أكلي فإذا قطعة من عمري قد ذهبت في الأكل، وجمعت ساعات وضوئي فإذا قطعة من عمري ذهبت فيه، ثم نظرت في صلاتي فإذا صـــلاة منقوصـــة وصوم مخرق، فما هو إلا عفو الله أو الهلكة (١).

يقول القرطبي رحمه الله : إن الله تعالى خلق العبد حيـــا عالمـــاً وبذلك كماله، وسلط عليه آفة النوم وضرورة الحـــدث ونقصـــان الخلقة إذا الكمال للأول الخالق سبحانه، فما أمكن الرجل من دفع النوم بقلة الأكل والسهر في طاعة الله فليفعل، ومن الغبن العظيم أن يعيش الرجل ستين سنة ينام ليلها فيذهب ثلثاه ويبقى له من العمر عشرون سنة، ومن الجهالة والسفاهة أن يتلف الرجل ثلثي عمره في لذة فانية ولا يتلف عمره بسهر في لذة باقية، عند الغني الوفي الذي ليس بعديم ولا ظلوم (٢).

يروى عن عثمان بن عفان رضي الله عنه أنه قال: إن الله يحب ابن عشرين إذا كان شبه ابن الثمانين، ويبغض ابن الستين إذا كان شبه ابن عشرين (٣).

ولأن الغالب كما ذكر سابقا أن الستين عمر التقاعد الوظيفي،

---

(١) صفة الصفوة (٣/٣٤٨).

(٢) تفسير القرطبي ، (١٣/٦٦).

(٣) الفردوس بمأثور الخطاب، (١/١٥٦).

فقد نظم شاعر موفق لما أحيل للتقاعد قصيدة منها:

إن التقاعـدَ فرصـة ذهبيـة
لزيـادة الحسـناتِ في الميـزان
إن التقاعـد فرصـة ذهبيـة
لزيـارة الإخـوان والخِـلان

قال الفضيل بن عياض لرجل : كم أتى عليك ؟ قال : ستون سنة، قال : فأنت منذ ستين سنة تسير إلى ربك يوشك أن تبلـغ، فقال الرجل : إنا لله وإنا إليه راجعون، قال له الفضيل : أتعـرف تفسيره؟ قال الرجل : فسره لنا يا أبا علي، قال : فمن علم أنه عبد الله وأنه إليه راجع، فليعلم أنه موقوف، ومن علم أنه موقوف فليعلم أنه مسؤول، ومن علم أنه مسؤول فليعد للسؤال جوابـا، فقـال الرجل : فما الحيلة؟ قال : يسيرة، قال : ما هي ؟ قال : تحسن فيما بقي يغفر لك ما مضى، فإنك إن أسأت فيما بقى أُخِذت بما مضى وما بقي [(١)].

* * *

الستون عند أهل الأمم الأخرى

اهتمت كل الأمم بكبار السن على تفاوت، لكـن اهتمـام

(١) حلية الأولياء (١١٣/٨) جامع العلوم والحكم ، ص ٣٦٠ دار الباز ، مكة المكرمة.

الإسلام بهم كان أكبر، ورعايته بهم أظهر، وإن كان من قصور في هذا الأمر فهو من بعض المسلمين، وإلا فإن رسول الله ﷺ قد قال: «**إن من إجلال الله إكرام ذي الشيبة المسلم....**»(١).

وقال ﷺ : «**ليس منا من لم يجل كبيرنا........**»

قول ﷺ «**ليس منا من لم يرحم صـــغيرنا، ويعـــرف شـــرف كبيرنا**».

وقال ﷺ : «**ليس منا من لم يرحم صغيرنا، ويوقر كبيرنا**»(٢).

وفي حديث قال عنه القرطبي : إنه ثابت عن رســـول الله ﷺ : «**ما أكرم شاب شيخاً لسِّنه إلا قيض الله له عند سنِّه من يكرمـــه**» أي لأجل سنه لأجل أمر آخر «**إلا قيض الله**»أي سبب وقـــدر يقال : هذا قيض لهذا «**من يكرمه عند سنِّه**»مجازة له على فعله بأن يقدر له عمراً يبلغ به إلى الشيخوخة ويقدر له من يكرمه، ذكـــره الطيبي، وأصله قول ابن العربي : قال العلماء : فيه دليل على طـــول العمر لمن أكرم المشيخة (٣).

وقد دخل السرقسطي العربي مجلساً وقد أكـــل منـــه الكـــبر وشرب، وله هرولة في مشيه، فتغامز عليه الأحداث فأنشأ يقول(٤):

---

(١) رواه أبو داود ، وحسنه الألباني برقم (٢١٩٥) في صحيح الجامع. .

(٢) الأحاديث (٥٣١٩-٥٣٢١) من صحيح الجامع..

(٣) تفسير القرطبي (٢٤١/١٧).

(٤) فيض القدير ، (٤٢٥/٥).

يا عائباً للشيوخ من أشـــرٍ داخله الصبا ومـــن بـــذخِ
اذكر إذا شئت أن تغشيهم جدك واذكر أباك يا ابن أخِ
واعلم بأنَّ الشبابَ منســـلخٌ عنك ومـــا وزره بمنســـلخِ
من لا يعزُّ الشيوخَ لا بلغت يوماً به ســـنُّه إلى الشـــيخِ

يقول المناوي: ترى الرجل يشتري عبداً فإذا أتت عليه ســـتون سنة فيقول: قد طالت صحبة هذا وعتق عندنا، فترفع عنه بعـــضُ العبودية وتخفف عنه في ضريبته، فإذا زادت مدة صحبته زيد رفقـــا وعطفاً، والعبد لا يخلو من تخليط وإساءة فمولاه لطول صـــحبته لا يمنعه رفقه ورفده ولا يتعبه فإذا شاخ أعتقه (١).

ذكر ابن بطوطة عن بعض النصاري أنهم يبنون (المانستار) على مثل لفظ المارستان إلا أن نونه متقدمة وراءه متأخرة، وهو عندهم شبه الزاوية عند المسلمين... فمنها المانستار الذي عمـــره الملـــك جرجيس والد ملك القسطنطينية وهو بخارج استنبول، ومنها مـــا نستاران يطيف بهما بيوت وأحدهما يسكنه العميان، والثاني يكسنه الشيوخ الذين لا يستطيعون الخدمة ممن بلغ الستين أو نحوها، ولكل واحد منهم كسوته ونفقته من أوقافٍ معينة لذلك، وفي داخل كل مانستار منها دويرة لتعبُّد الملك الذي بناه، وأكثر هؤلاء الملوك إذا بلغ الستين أو السبعين بني مانستاراً ولبس المسوح وهـــي ثيـــاب الشعر، وقلد ولده الملك واشتغل بالعبادة حتى يموت.

---

(١) فيض القدير (٤/٤٥٧).

ويحكي ابن بطوطة أيضاً عن أهل الصين ومبالغتهم في رعايـــة من كبر سنه فقال : ومن بلغ ستين سنة عدوه كالصبي فلم تجر عليه الأحكام، والشيوخ بالصين يعظمون تعظيما كثيرا، ويسمى أحدهم آطا ومعناه الوالد، والأمير الكبير قرطي)[١].

ولما (خرج موسى عليه السلام في ستمائة ألف وعشرين ألـــف مقاتل كانوا لا يعدون ابن العشرين لصغره ولا ابن الستين لكبره)، قال الإمام البغوي : (ولما دنا هلاك فرعون أمر الله تعالى موسى — عليه السلام — أن يسير ببني إسرئيل من مصر ليلاً، وخرج موسى عليه السلام في ستمائة ألف وعشرين ألف مقاتل لا يعـــدون ابـــن العشرين لصغره ولا ابن الستين لكبره)[٢].

* * *

الستون... والشيب

كنت قد ذكرت الشيب وأحكامه وكلام أهل العلم فيـــه في رسالة (يا...ابن الأربعين) أعيد بعضه هاهنا مختصراً:

جاء عند الإمام مالك رحمه الله : أن رسول الله ﷺ قال: «**أول الناس رأى الشيب إبراهيم عليه السلام، فقال : يارب ما هذا ؟**

(١) رحلة ابن بطوطة ص ٢٣٥ ، ص ٤٢٢ دار الكتاب اللبناني المصري ، بيروت القاهرة.

(٢) تفسير الطبري ، (٢٧٧/١) البغوي ص١٧، دار طيبة الرياض.

فقال الله تبارك وتعالى : هذا وقار يا إبراهيم (أي حلم ورزانة) فقال : رب زدني وقارا»، فالشيب ممدوح [(١)].

قال ﷺ : «**لا تنتفوا الشيب، فإنه نور الإسلام، ما من مسلم يشيب شيبة في الإسلام إلا كانت له نوراً يوم القيامة**»[(٢)].

وقال ﷺ : «**من شاب شيبة في الإسلام كانت له نورا يوم القيامة**»[(٣)].

وزاد الحاكم في الكنى : «**ما لم يغيرها**»[(٤)].

وقال ﷺ : «**الشيب نور المؤمن، لا يشيب رجل شيبة في الإسلام إلا كانت له بكل شيبة حسنة ورفع بها درجة**»[(٥)].

وهذا شاعر لخص أثر كل شيبة تظهر على العقلاء من الناس، فقال:

لقد جلَّ خطبٌ إن كان كلما
بدت شيبة يعرى من اللهو مركب

وللناس مع الشيب مذاهب:

فمنهم من رضي به واطمأن إليه، وعده نذيرا، واستعد لما

---

(١) ما بين الأقواس من شرح الزرقاني ، (٥/٢٩٥) مكتبة الحلبي مصر.

(٢) حديث صحيح برقم (٧٣٤٠) في صحيح الجامع.

(٣) حديث صحيح برقم (٦١٨٣) في صحيح الجامع.

(٤) الزيادة من شرح الزرقاني ، (٥/٢٩٥).

(٥) حديث صحيح برقم (٣٦٤٢) في صحيح الجامع.

بعده.

ومنهم من لم يأبه به، ولم يمثل له أي شيء، أو يعني له أي معنى، وما كأنه نزل بساحته.

وصنف آخر التفوا عليه، واحتالوا وسارعوا إلى إخفائه، بنتفه، أو صبغه بالسواد، أو تغيير لونه الحقيقي، ضجرًا به، وكرهاً له، أو تشاؤما منه، خصوصاً أنه إذا حلَّ تتابع.

والمرء وإن أخفاه بطريقة أو أخرى، فإن الواقع والحقيقة لا يمكن إخفاؤهما.

أما البستي – رحمه الله – فقد قطع الطريق على حيل النفوس والأعذار خصوصاً في هذا السن، فقال:

ويا أخَا الشيب لو ناصحتَ نفسَك لم
يكن لمثلكَ في الإسراف إمعانُ

هب الشبيبة تُبدى عذر صاحبها
ما عذر أشيب يستهويه شيطان

وهذا شاعر قد صدق في وصف أثر الشيب على المسلم، فقال [بتصرف يسير)

عُلقتَ يا كعبُ بعد الشيب فانيةً
والشيب فيه عن الأهواء مزدجرُ

فإن لم يكن الشيب زاجرًا عن الأهواء، فلم يكن حينئذ نذيرًا..

ولقد بوب مسلم في صحيحه على حكم الصبغ والخضاب

أبواباً، وساق أحاديث، منها: باب استحباب خضـــاب الشـــيب بصفرة أو حمرة وتحريمه بالسواد: عن جابر قال: أتى بأبي قحافة يوم فتح مكة ورأسه ولحيته كالثغامة بياضا، فقـــال رســـول الله ﷺ : «**غيروا هذا بشيء، واجتنبوا السواد**»الثغامة : نبت أبيض الزهر والثمر.

وقال : باب في مخالفة اليهود في الصبغ : وعن أبي هريرة رضي الله عنه أن النبي ﷺ قال : «**إن اليهود والنصـــاري لا يصـــبغون فخالفوهم**».

قال النووي: ومذهبنا استحبابُ خضاب الشيب للرجل والمرأة بصفرة أو حُمرة، ويحرم خضابه بالسواد على الأصح[1].

قال ابن حجر رحمه الله : قوله ﷺ «**إن اليهود والنصـــاري لا يصبغون فخالفهوهم**» يقتضي مشروعية الصبغ، والمراد به صـــبغ اللحية والرأس، ولا يعارض ما ورد من النهي عن إزالة الشيب، لأن الصبغ لا يقتضي الإزالة، ثم إن المأذون فيه مقيد لما أخرجه مســـلم من حديث جابر أنه ﷺ قال : غيروه، ولأبي داود وصححه ابـــن حبان من حديث ابن عباس – رضـــي الله عنـــهما – مرفوعـــا: «**يكون قوم في آخر الزمان يخضبون كحواصل الحمام لا يجدون ريح الجنة**» وإسناده قوي إلا أنه اختلف في رفعه ووقفـــه وعلـــى تقدير ترجيح وقف فمثله لا يقال فيه بالرأي، فحكمه الرفع، ولهذا

---

(١) شرح النووي على صحيح مسلم ، (٨٠/١٤)دار إحياء التراث بيروت.

اختار النووي أن الصبغ بالسواد يكره كراهية تحريم»[١].

وللجنة الدائمة للإفتاء برئاسة الشيخ ابن باز – رضي الله عنه – فتاوى في صبغ شعر الرأس واللحية، منها: إن تغيير الشيب بصبغ شعر الرأس واللحية بالحناء والكتم ونحوهما جائز بـــل مســـتحب، وتغييره بالصبغ الأسود لا يجوز[٢].

قال ﷺ: «**إذا خطب أحدكم المرأة وقد خضـــب بالســـواد فليعلمها**».

قال المناوي: أي والحال أنه (يخضب) شعره الأبيض (بالسواد) أي يغير لونه به وذلك جائز للجهاد ممنوع لغيره (فليعلمها) وجوبا (أنه) أي بأنه (يخضب) لأن النساء يكرهن الشعر الأبيض غالبـــاً، لدلالته على الشيخوخة الدالة على ضعف القوى، فكتمه تدليس، إذ لو علمت أنه غير شاب ربما لم تـــدخل عليـــه... رواه الترمـــذي والبيهقي وزاد بعد قوله : فليعلمها، (لا يغرها)[٣].

وكان ﷺ يتمثل بهذا البيث:

كفى بالإسلام والشيب للمرء ناهياً!

أي زاجراً ورادعا، وإنما كان يتمثل به لأن الشيب نذير الموت، والموت يسن إكثار ذكره، لتتنبه النفس من سنة الغفلة، فيسن لمـــن

(١) فتح الباري (٦/٤٩٩).

(٢) فتاوي اللجنة الدائمة (٥/١٦٥-١٦٩) دار العاصمة الرياض.

(٣) فيض القدير (١/٣٣٦).

بلغ سن الشيب أن يعاتب نفسه ويوبخها بإكثار التمثل بذلك [١].

وذكر البخاري أن عمر – رضي الله عنه – سمع مولى بني الحسحاس يقول الشعر فدعاه، فقال: كيف قلت؟ فقال:

ودع سليمي إن تجهزت غاديا
كفى الشيب والإسلام للمرء ناهيا

قال: حسبك، صدقت...صدقت [٢].

وصاغ آخر قريبا منه، فقال:

أبى الشيبُ والإسلام أن ابتع الهوى
وفي الشيب والاسلام للمرء وازع

ولأبي إسحاق الألبيري:

الشيب نبه ذا النهى فتنبها
ونهى الجهول فما استفاق ولا انتهى
فإلى متى ألهو وأفرح بالمنى
والشيخ أقبح ما يكون إذا لها
ما حسنه إلا التقى لا أن يرى
صبًّاً بألحاظ الجآذر والمَهَا

ولماذا كل هذا الهروب من المشيب مع أنه خير للمسلم،

---

(١) فيض القدير ، (٥/٢٠٣).

(٢) الأدب المفرد للبخاري ص ٥٤٦، المطبعة العصرية ، مشروع زايد الإمارات العربية المتحدة.

وذكرى وعظة؟!

إن المشـــــيب رداء الحلـــــم والأدب
كمـــا الشـــباب رداء اللـــهو واللعـــب

حتى شعراء الجاهلية رأوا في الشيب حكماً، فهذا النابغة يقول:

على حين عاتبتُ المشيب علـــى الصـــبا
وقلـــت: ألمـــا أصـــح، والشـــيب وازع؟

وهذا دريد بن الصمة يقول:

صبا ما صبا حتى عـــلا الشـــيب رأســـه
فلمـــا عـــلاه قـــال للباطـــل: ابعـــد!

وكان أبو حازم – رضي الله عنه – ينصح ابنه بأمور اقتنـــع بها، فأعلنها حكما لابنه، وللأجيال من بعده، فيقول : يـــا بـــني لا تقتد بمن لا يخاف الله بظهر الغيب، ولا يعف عن العيب، ولا يصلح عند الشيب [1].

وهذه الأبيات لشاعر عرف دور الشيب فأحسن الروي:

رأيـــت الشـــيب مـــن نـــذر المنايـــا
لصـــاحبه وحســـبك مـــن نـــذير
وقائلـــةٍ تخضـــب يـــا حبـــيبي
وســـود شـــعر شـــيبك بـــالعبير
فقلت لهـــا: المشـــيبُ نـــذير عمـــري

(١) حلية الأولياء ، (٣/٢٣٠).

ولستُ مسودا وجه النذيرِ

وهذا شاعر تمنى الشيب مبكراً، لفوائد عاينها، ولا يخلو الشيب من فوائد:

تمنيت أن الشيب عاجل لِمَّتِي
وقرب مني في صباي مزاره
لآخذ من عصر الشباب نشاطه
وآخذ من عصر المشيب وقاره

أنشد أبو عمر هلال بن العلاء:

يا خاضب الشيب بالحناء تستره
سل المليك له سترًا من النار
لن يرحل الشيب عن دار أقام بها
حتى يرحل عنها صاحب الدار

وحكى ابن المنجم حال بعض من يخضب الشيب بالسواد، ولكن سرعان ما تبدو أصوله، فقال:

وما خصبَ الناسُ البياض لقبحه
وأقبحُ منه حين يظهر ناصلُه
ولكنه مات الشبابُ فسودت
على الرسم من حزن عليه منازله

أما التميمي : فله قصيدة لابن الأربعين – هي لصاحب الستين أولى – فيقول (مع تصرف يسير).

وما شنآن الشيب من أجل لونه
ولكنه حاد إلى البين مسرعُ
إذا ما بدت منه الطليعة آذنتْ
بأن المنايا خلفها تتطلع
فإن قصها المقراض صاحت بأختها
فتظهر يتلوها ثلاث وأربع
وإن خضبت حال الخضاب لأنه
يغالبُ صنع الله والله أصنع
فيضحي كريش الديك فيه تلمع
وأفظع ما تكساه ثوب ملمع
إذا ما بلغت الأربعين فقل لمن
يودك فيما تشتهيه ويسرع
هلموا لنبكي قبل فرقة بيننا
فما بعدها عيش لذيذ ومجمع
وخل التصابي والخلاعة والهوى
وأُمَّ طريق الحق فالحق أنفع
وخذ جنة تنجي وزادًا من التُّقي
وصحبه مأموم فقصدك مفزع

وللأنصاري:

والشيب يأمر بالعفافِ وبالتقى
وإليه بأوي العقلُ حين يؤولُ

وما أقبح التفريط في زمن الصبا
فكيف به والشيب للرأس شاعل
ترحل من الدنيا بزاد من التقى
فعمرك أيام وهن قلائل

انتهى، من رسالة (يا .. ابن الأربعين) بختصار وزيادة يسيرة.

الستون في الأدب والشعر

مما ينسب لأمير المؤمنين علي بن أبي طالب – رضي الله عنه – قوله:

بلوتُ صروف الدهر ستين حجة
وجربت حاليه من العسر واليسر
فلم أر بعد الدين خيرا من الغني
و لم أر بعد الكفر شرا من الفقر

وذكر ابن رجب هذا البيت:

وإن المرء قد سار ستين حجة
إلى منهل من ورده لقريب [1]

ويذكر أن عراك بن مالك وأبا بكر بن حزم وعبيد الله ابن عبد الله بن عتبة كانوا يتجالسون بالمدينة زماناً، ثم إن ابن حزم صار إلى الإمارة فمر هو وعراك يوما بعبيد الله و لم يُسلما و لم يقفا به وكان

(١) جامع العلوم والحكم ، ص ٣٦٠.

ضريراً فأخبر بذلك فأنشأ يقول [(١)].

ألا أبلغـــا عـــني عـــراك بـــن مالـــك

ولا تـــدعا أن تثنيـــا بـــأبي بكـــر

لقد جعلـــت تبـــدو شـــواكل منكمـــا

كأنكمـــا بي مـــوقران مـــن الصـــخر

فكيـــف تريـــدان ابـــن ســـتين حجـــة

على ما أتى وهو ابن عشرين أو عشـــر

فمسا تـــراب الأرض، منـــها خلقتمـــا

وفيهـــا المعـــاد والمصـــير إلى الحشـــر

ولا تعجبـــــا أن تؤتيـــــا وتكلمـــــا

فما خشي الأقـــوام شـــرا مـــن الكـــبرِ

فطاوعتمـــــا بي عـــــاذلاً ذا معاكســـــة

لعمري لقد أورى ومـــا مثلـــه يـــوري

فلـــولا اتقـــاء الله مـــن قيـــل فيكمـــا

للمتكمـــا لومـــاً أحـــر مـــن الجمـــرِ

وكان مما قاله ابن خفاجة لما بلغ الستين من عمره:

ألا ســـاجل دمـــوعي يـــا غمـــامُ

وطـــارحني بشـــجوك يـــا حمـــامُ

فقـــد وفيتـــها ســـتينَ حـــولاً

(١) التمهيد لابن عبد البر، (٤٦/٤) تحقيق محمد عطاء ، دار الكتب العلمية بيروت.

ونادتني ورائي هل أمام
فيا شرخ الشباب ألا لقاء
يبل به على ظميءٍ أوام
ويا ظل الشباب وكنت تندى
على أفياء سرحتك السلام

ولخص هذا الشاعر خاتمة كبير السن سفيه العقل، فقال:

وليس لمرءٍ بعد ما شابَ رأسه
نجاحٌ بإتيان السَّفاهِ ولا عذرُ

ذكر بعض من مات وهو في الستين

وإن كان هذا الأمر لا يعني شيئا محدداً، ولكن أذكره استئناسا، على أن أغلب الناس – كما هو مشاهد ومنقول – يعيشون بين الستين إلى السبعين لحكم عظيمة.

قال الترمذي الحكيم: الأصل العشرون: في حكمة قصر أعمار هذه الأمة: عن أبي هريرة رضي الله عنه قال: قال رسول الله ﷺ: «**عمر أمتي من ستين إلى سبعين**»، وقال ﷺ : «**معترك المنايا ما بين الستين إلى السبعين...ثم قصر أعمارهم لئلا يتلبسوا بالدنيا إلا قليلاً ولا يتدنسوا، فإن القرون الماضية كانت أعمارهم وأجسادهم وأرزاقهم على الضعف، كان أحدهم يعمر ألف سنة وجسمه ثمانون باعا...فمنها وبطروا واستكبروا وأعرضوا عن الله عز وجل فصب الله عليهم سوط عذاب،...ثم لم يزل الناس ينقصون في الخلق والخلق والأجل والرزق إلى أن صارت هذه**

الأمة آخر الأمم حتى يأخذوا من الدنيا أرزاقا قليلة بأجساد كمال، في مدة قصيرة حتى لا يأشروا ولا يبطروا، فهذا تدبير من الله عز وجل رحمة لهذه الأمة، ثم ضوعفت لهم الحسنات فجعلت الحسنة الواحدة بعشرة إلى سبعمائة إلى ما لا يعلمه من التضعيف إلا الله تعالى، وأيدوا باليقين، وأعطوا ليلة القدر....»[1].

وجاء في التحفة: (باب ما جاء في فناء أعمار هذه الأمة ما بين الستين إلى سبعين... قوله : عمر أمتي من ستين سنة إلى سبعين، قيل : معناه : عمر أمتي ابتداؤه إذا بلغ ستين سنة وانتهاؤه سبعون سنة وقل من يجوز سبعين، وهذا محمول على الغالب بدليل شهادة الحال فإن منهم من لم يبلغ ستين سنة ومنهم من يجوز سبعين ذكره الطيبي رحمه الله.

وقال القارئ: (فالظاهر أن المراد به أن عمر الأمة من سن المحمود الوسط المعتدل الذي مات فيه غالبُ الأمة ما بين العددين منهم سيد الأنبياء وأكابر الخلفاء كالصديق والفاروق والمرتضى وغيرهم من العلماء والأولياء مما يصعب فيه الاستقصاء)[2].

روى ابن جرير عن أسلم رضي الله عنه مولى عمر رضي الله عنه أنه قال: توفي عمر وهو ابن ستين سنة، قال الواقدي: وهذا أثبت الأقاويل عندنا [3].

(١) نوادر الأصول في أحاديث الرسول ، ص ٢٨ ، ٢٩.

(٢) تحفة الأحوذي (٦٢٣/٦) دار إحياء التراث بيروت.

(٣) البداية والنهاية ، (١٣٩/٧).

عياض بن غنم رضي الله عنه، من المهاجرين الأولين شهد بدرًا وما بعدها وكان سمحا جوادا شجاعا، وهو أول مـــن جـــاز درب الروم غازيا واستنابه أبو عبيدة رضي الله عنه بعده على الشام فأقره عمر عليها إلى أن مات عن ستين سنة.

وكذلك عبد الله بن مظعون رضي الله عنه، الذي شهد المشاهد كلها مع رسول الله ﷺ، مات وهو ابن ستين سنة.

وخالد بن الوليد رضي الله عنه، عاش ستين سنة وقتل جماعـــة من الأبطال ومات على فراشه فلا قرت أعين الجبناء (١).

وأسامة بن زيد رضي الله عنهما، مات بالمدينة في آخر خلافة معاوية رضي الله عنه، وهو ابن ستين سنة (٢).

وتوفيت حفصة رضي الله عنها وهي يومئذ ابنة ستين سنة (٣).

وعبد الله بن مسعود رضي الله عنه، مات عن ستين سنة (٤).

والأوزاعي مات وله ستون سنة قال عبد الرحمن بن مهـــدي : ما كان بالشام أحد أعلم بالسنة منه (٥).

ومسلم ابن الحجاج النيسابوري الحافظ، أحد أركان الحديث

---

(١) سير أعلام النبلاء (٣/٣٥٤) ، (١/١٦٣) (١/٣٦٧) مؤسسة الرسالة بيروت.

(٢)المستدرك على الصحيحين (٣/٦٨٨).

(٣) صفوة الصفوة (٢/٤٠).

(٤) سبيل السلام (١/١٢٩) دار الجيل بيروت.

(٥) طبقات الفقهاء (١/٧١).

وصاحب الصحيح، مات وله ستون سنه [١].

يقول ابن كثير عن محمود بن سبكتكين : الملك العادل الكبير المرابط المؤيد المنصور، صاحب بلاد غزنة ومالك تلك الممالك الكبار وفاتح أكثر بلاد الهند قهرا، وكاسر أصنامهم وأوثانهم وهنودهم وسلطانهم، مات وله من العمر ستون سنة — رحمه الله –.

وكذلك عن ابن القيم : ولا أعرف في هذا العالم في زماننا أكثر عبادة منه، وكانت له طريقة في الصلاة، يطيلها جدا ويمد ركوعها وسجودها، وله من التصانيف الكبار والصغار شيء كثير، وكمل له من العمر ستون سنة —رحمه الله – [٢].

* * *

محاذير في هذا السن، لابد من التصريح بها

هذه بعض المحاذير التي لا تنبغي في هذا السن بالذات، والتصريح بها أولى من التلميح أو التعميم، وذلك لوجودها عند البعض... قيل لحكيم : أي شيء أشد؟ قال: دنو أجل وسوء عمل [٣].

١- كثرة المزاح والكلام فيما لا ينفع في الآخرة والاشتهار به،

(١) شذرات الذهب (١٤٥/١) لابن العماد ، المكتب التجاري للطباعة بيروت .

(٢) البداية والنهاية (٢٧/١٢) (٢٣٥/١٤).

(٣) فيض القدير (٥٥٧/١).

أو كثرة القصص والأخبار الدنيوية قليلة الفائدة والتي زاحم حفظها حفظ القرآن والسنة، فتجد أحدهم يحفظ مئات القصص والأخبار والاشعار التي لن تنفعه في الآخرة يوم عرض الأعمال، فتمنى الواحد زيادة حسنة أو نقص سيئة، ولكن هيهات، بل إنه ربما لا يحفظ جزءا من القرآن أو بعض الأحاديث أو شيئا من سيرة الرسول ﷺ والصالحين في كل زمان ومكان.

٢- بذل الشهادة لكل من طلبها دون تأكد أو تثبت، وربما كانت بمقابل مالي أو معنوي في غير حق وبر، بل ربما شهادة زور أو قول زور يختم به حياته بما يغضب الله، ويلحق بهذا المحذور : الأيمان الكاذبة (الغموس) على أمر من أمور الدنيا كبير أو صغير.

٣- التصابي والتجمل المبالغ فيه، لدرجة الوقوع في محظورات شرعية كحلق اللحية أو التخفيف الشديد منها، أو الصبغ بالسواد وغيرها من الأمور التي لا تحسن بالشاب المسلم فكيف بالشيخ الكبير، ولينظر بأي حال يريد أن يلقى الله وهو عليه في هيئته ومنظره ومخبره، فإنه (يُبعث كل عبدٍ على ما ماتَ عليه) رواه مسلم.

قال هشام بن الحكم الثقفي : كان يقال: خمسة أشياء تقبح بالرجل: الفتوة في الشيوخ، والحرص في القراء، وقلة الحياء في ذوي الأحساب،والبخل في ذوي الأموال، والحدة في السلطان [١].

(١) شعب الإيمان (٦/٤٠).

٤- التعلق بالشهوات والإكثار من المباحات، كالتوسع في المناكح والمطاعم والمشارب والنوم الكثير نهاراً، والسهر ليلاً على ملهيات ومشغلات عن الله تعالى وعن معالي الأمور، قال المعري:

جني ابن ستين على نفسه
بالولد الحادث ما لا يحب
تقول عرسُ الشيخ في نفسها
لا كنتَ ياشر خليل صحب
ما يصنع الشيخ بالعذراء يملكها؟
كجوزة بين فكي أدرد خرف
إن رام يكسرها بالسن تثلمه
وكسرها راحة للبهائم الدنف

٥- صحبة من لا تزيد صحبته إلا نقصا ممن لا يذكر إلا بالدنيا وملذاتها وحطامها الزائل، ولقد أمر الله تعالى بصحبة الصادقين فقال: ﴿**يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا اتَّقُوا اللَّهَ وَكُونُوا مَعَ الصَّادِقِينَ**﴾[التوبة:١١٩] قال الطبري: وكونوا في الدنيا من أهل ولاية الله وطاعته تكونوا في الآخرة مع الصادقين في الجنة، يعني مع من صدق الله الإيمان به [١]. ونهى ﷺ عن صحبة غير المؤمن فقال : «**لا تصاحب إلا مؤمنا**»[٢].

وقال الإمام طاووس رحمه الله لابنه: يا بني صاحب العقلاء

(١) تفسير الطبري (٦٢/١١).

(٢) حسنه الألباني برقم (٧٢١٨) في صحيح الجامع.

تنسب إليهم وإن لم تكن منهم، ولا تصاحب الجهال فتنسب إليهم[١].

٦- كثرة الأسفار والرحلات غير المفيدة، وأشد من ذلك المحرمة أو التي تؤدي إلى محرم في مثل ما يسمى بالسياحة الخارجية والسفر إلى بلاد الإباحية والانحلال الخلقي لتمتيع ناظريه أو ما هو أسوأ من ذلك، أو أن يبرر لنفسه بأنه يعوض ما فاته كما يخدعه الشيطان.

٧- زيادة الهلع والقلق على أمور المعاش، خصوصا إذا كان ذلك بعد انخفاض في موارده المالية بسبب التقاعد أو غيره، وليوقن بقوله ﷺ : «**لن تموت نفس حتى تستكمل رزقها**»[٢].

وليحذر البخل والشح حال صحته واستطاعته وبالذات في آخر حياته، ولما سئل ﷺ عن أي الصدقة أفضل ؟ قال: «**أن تصدق وأنت صحيح شحيح تأمل العيش وتخشى الفقر ولا تمهل حتى إذا بلغت الحلقوم**» وفي لفظ : «**وأنت حريص تأمل الغنى**» أي قاربت الروح الحلقوم، والشح : بخل مع حرص، والتصدق في الحياة وفي الصحة أفضل منه بعد الموت (أي بالوصية) وفي المرض، لأنه في حال الصحة يصعب عليه إخراج المال غالبا، لما يخوفه به الشيطان

---

(١) حلية الأولياء ، (١٣/٤).

(٢) رواه ابن حبان في صحيحة ، وقريب منه عند الحاكم والبيهقي وصححه الالباني برقم (٧١٩٢) في صحيح الجامع.

ويزين له من إمكان طول العمر والحاجة إلى المال[1].

٨- البدء في مشاريع ضخمة تستهلك وقتــه وجهــده دون مشاركة أحد من أبناءه له في التنفيذ أو المتابعة بل لقد سمعتُ كثيرا من الآباء يشكو أبناءه : أنهم لا يساعدونه في شــيء مــن تلــك الأعمال وإنما قام بها من أجلهم، حتى إن بعضهم لمــا يــئس مــن مساعدتهم قام بتصفيتها بأقل من تكلفتها الحقيقية نادماً علــى مــا أضاع فيها من جهود وأوقات، عازماً على الاستمتاع بما بقي مــن طاقته وماله فيما يحب هو.

* * *

ما ينبغي لصاحب الستين فما فوق

إن المرء المسلم ينبغي له أن يكون على ما يحبه الله تعالى في كل وقت، شابا كان أو شيخاً، لكن الأمر أكثر تأكيدا في حق كــبير السن.

لقد ذهب أكثر العمر في شأن الدنيا و لم يبق إلا القليل جداً من العمر فلنجعله أو أكثره في شأن الآخرة، فإنها والله الحياة الحقيقيــة كمــا قــال تعــالى : ﴿**وَإِنَّ الــدَّارَ الْــآَخِرَةَ لَهِــيَ الْحَيَوَانُ**﴾[العنكبوت:٦٤] والمعنى : (لهي دار الحياة التي لا مــوت

(١) فتح الباري (٣/٢٨٥) ، (٥/٣٧٤) والحديث متفق عليه.

فيها، ولا تنغيص يشوبها كما يشوب الحياة الدنيا) [١].

ولأن الغالب (أن الشيخ قد حفظ العلوم والتجارب الكثيرة ومارس الأمور ودربها وكثرت تجاربه، وهذه الأحوال تعينه على وجوه الفكر وقوة النظر، فقامت مقام النقصان الحاصل بسبب ضعف البدن والقوى) [٢].

فإن المطلوب منه تجاه الآخرين : بذلُ الرأي الحسن والمشورة الصادقة والتعليم النافع لمن دونه، فذلك منتظر منه أكثر من غيره.

أما تجاه نفسه : فالاجتهاد في الذكر والاستغفار وألوان العبادة وملء الوقت بها مطلوب أكثر ممن هو دونه في السن.

ولئن كان يطلب كل ذلك ممن بلغ هذا العمر فإنه لا يعني التبتل وترك الدنيا تماماً، فإن ذلك مخالف للفطرة التي فطر الله الناس عليها، ولكن المطلوب مزيد عناية بأمر الآخرة الباقية، والتخفف من الدنيا العاجلة الفانية.

جاء عند البخاري أن ﷺ قال : «**لا يزال قلب الكبير شاباً في اثنتين : في حب الدنيا، وطول الأمل**».

وقال : «**يكبر ابن آدم ويكبر معه اثنتان : حب المال وطول العمر**»وعند مسلم : «**يهرم ابن آدم ويشب معه اثنتان : الحرص على المال والحرص على العمر**».

---

(١) زاد المسير ، (١٤٢/٣)، المكتب الإسلامي.

(٢) الروح ، ص ٢٠٨-٢٠٩ ، دار الندوة الجديدة بيروت.

قال النووي: معنا أن قلب الشيخ كامل الحب للمال. محتكم في ذلك كاحتكام قوة الشاب في شبابه.

وقال: والتعبير بالشاب إشارة إلى كثرة الحرص وبعد الأمل الذي هو في الشباب أكثر وبهم أليق، لكثرة الرجاء عادة عندهم في طول أعمارهم ودوام استمتاعهم ولذاتهم في الدنيا.

قال القرطبي : في هذا الحديث كراهة الحرص على طول العمر وكثرة المال وأن ذلك ليس بمحمود.

وقال غيره: الحكمة في التخصيص بهذين الأمرين : أن أحب الأشياء إلى ابن آدم نفسه فهو راغب في بقائها فأحب لذلك طول العمر، وأحب المال لأنه من أعظم الأسباب في دوام الصحة التي ينشأ عنها غالبا طول العمر، فكلما أحس بقرب نفاد ذلك اشتد حبه له ورغبته في دوامه (١).

ويستغرب أن يكون في بعض من بلغ هذا السن من لا زال معرضا سادراً، لكن وعيده عند الله عظيم ما لم يتب، خصوصا من أخبرنا رسول الله ﷺ أنه : «**لا يكلمهم الله يوم القيامة، ولا يزكيهم، ولا ينظر إليهم، ولهم عذاب أليم: شيخ زان، وملك كذاب، وعائل مستكبر**» رواه مسلم.

وفي حديث آخر : «**أشيمط زان**» (٢).

---

(١) فتح الباري ، (١١/٢٤١).

(٢) صحيح الجامع، (٣٠٦٧).

قال القاضي عياض عن مثل هؤلاء : (سببه أن كل واحد منهم التزم المعصية المذكورة مع بعدها منه وعدم ضرورته إليها وضعف دواعيها عنده، وإن كان لا يعذر أحد بذنب، لكن لما لم يكن إلى هذه المعاصي ضرورة مزعجة ولا دواع معتادة أشبه إقدامُهم عليها المعاندة والاستخفاف بحق الله تعالى وقصد معصيته لا لحاجة غيرها، فإن الشيخ لكمال عقله وتمام معرفته بطول ما مر عليه من الزمان، وضعف أسباب الجماع والشهوة للنساء واختلال دواعيه لذلك عنده ما يريحه من دواعي الحلال في هذا ويخلى سره منه فكيف بالزنا الحرام؟....)[١].

ويذكر أن الربيع بن خثيم كان بالأهواز ومعه صاحب له فنظرت إليه امرأة فتعرضت له، فدعته إلى نفسها فبكى الشيخ، فقال صاحبه : ما يبكيك؟ قال : إنها لم تطمع في شيخين إلا رأت شيوخاً مثلنا [٢].

قال المعري:

وكم شيوخٍ غدوا بيضا مفارقُهم
يسبحون، وباتوا في الخنا سبحا

ألا فليتق الله كل مسلم و صاحب الستين – فأكثر – أولى بتقواه والاستعداد للقائه.

(١) شرح صحيح مسلم ، (١١٧/٢).

(٢) حلية الأولياء ، (١١٦/٢).

الخاتمـــــة

قال ﷺ : «**إنما الأعمال بخواتيهما**» [رواه البخاري].

قال المناوي عند شرح هذا الحديث : فعلى الخاتمـــة ســـعادة الآخرة وشقاوتها [١]. جاء رجل إلى رسول الله ﷺ، قال: يا رسول الله، أي الناس خير؟ قال : «**من طال عمره وحسن عمله**»، قال : فأي الناس شر؟ قال: «**من طال عمره وساء عمله**».

وعن عبد الله بن بسر – رضي الله عنه – قال : قال رســـول الله ﷺ : «**خير الناس من طال عمره وحسن عمله**»[٢].

قال قتادة: اعلموا أن طول العمر حجة، فنعوذ بالله أن نعـــير بطول العمر، قد نزلت هذه الآية : ﴿**أَوَلَمْ نُعَمِّرْكُمْ مَا يَتَذَكَّرُ فِيـــهِ مَنْ تَذَكَّرَ وَجَاءَكُمُ النَّذِيرُ**﴾وإن فيهم لابن ثماني عشرة سنة [٣].

فمن عمره الله تعالى إلى أن بلغ الستين فأكثر، فليجعله كما مر معنا (سن الإنابة والخشوع وترقب المنية ولقاء الله تعالى)، و(عمـــر التذكر والتوفيق).

وختاماً أوجز أموراً ينبغي على المسلم الذي بلغه الله هذا العمر

---

(١) فيض القدير ، (٢/٢٣١).

(٢) الحديث الأول رواه الترمذي وقال : حديث حسن صحيح، والطبراني بإسناد صحيح والحاكم والبيهقي في الزهد وغيره ، وحديث عبد الله بن بسر رواه الترمذي وقال : حديث حسن ، الترغيب والترهيب (٦/٧٢).

(٣) تفسير ابن كثير ، (٣/٨٨٨).

أن يأتي بها ويحرص عليها منها:

١- أن يكثر من أن يدعو الله تعالى ببعض ما ثبت عنه ﷺ بما يناسب هذه المرحلة، مثل : «**اللهم أحيني ما كانت الحياة خيراً لي، وتوفني إذا كانت الوفاة خيراً لي**»[١]، فإنه لا يدري : أيهما خـــير له، الموت أم الحياة؟

وكقوله ﷺ : «**اللهم اجعل أوسع رزقك على عند كبر سني، وانقطاع عمري**» قال المناوي : أي إشرافه على الانقطاع والرحيل من هذه الدار، فإن الإنسان عند الشيخوخة قليل القوة ضعيف الكد عاجز عن السعي فإذا وسع الله عليه رزقه حين ذلك كان عونا لـــه على العبادة [٢].

٢- أن يكثر من الذكر الاستغفار عن خطئه وتقصـــيره فـــلا ينبغي له حينئذ إلا الاستغفار والطاعة والإقبـــال علـــى الآخـــرة بالكلية[٣].

وكما قال الشاعر:

دعْ عنك ما قد فاتَ في عهـــد الصـــبا

واذكر ذنوبـــكَ وابكِهـــا يـــا مُـــذْنِبُ

---

(١) متفق عليه.

(٢) فيض القدير ، (١٢٥/٢) والحديث راه الحاكم وحسنه الألباني (١٢٦٦) صحيح الجامع.

(٣) فتح الباري ، (٢٤٠/١١).

٣- أن يزيد من علمه اشرعي لمعرفة مراد الله تعالى، ويستدرك ما فاته، فإنه «**من يرد الله به خيرا يفقهه في الدين**»[١].

ولا أحصي عدد المرات التي سمعت فيها الإمام عبد العزيز بـــن باز رحمه الله يقول عند شرحه هذا الحديث:... إن من معاني هـــذا الحديث أن (من لم يرد الله به خيرا لا يفقهه في الدين).

وهذا يشمل كل أحد حتى كبير السن، فإن العلم ليس له سن معين، بل الأمر كما قال الإمام أحمد : مع المحبرة إلى المقبرة، وكان يقول : عن المحابر في أيدي طلاب العلم : هذه سرج الإسلام [٢].

ولما قيل لعبد الله بن المبارك : إلى متى تطلب العلم ؟ قال : حتى الممات إن شاء الله [٣].

ويقول الغزالي : فلا يزيد كبر السن للجاهل إلا جهلاً، فالعلم ثمرة العقل وهي غريزة ولا يؤثر الشيب فيها.

وقال أيوب السختياني : أدركت الشيخ ابن ثمانين سنة يتبـــع الغلام يتعلم منه.

وقيل لابي عمرو بن العلاء : أيحسن من الشيخ أن يتعلم مـــن الصغير ؟ فقال: إن كان الجهل يقبح به، فالتعلم يحسن به [٤].

---

(١) متفق عليه .

(٢) تلبيس إبليس ، ص ٣٢٩، دار الكتب العلمية بيروت.

(٣) جامعُ بيان العلم وفضله ، لابن عبد البر ، (٤٠٦/١).

(٤) إحياء علوم الدين (١٤٣/١، ١٤٤).

٤- أن يوجه قلبه وهمه إلى الدار الآخرة، حيث لم يبق إلا القليل، وليس بمقبول منه أفعال الشباب وفتوهم، ولا أعني أنه يهجر الدنيا ويتركها تماما ولكن كما ذكر سابقا، ينبغي له الإقبال على الآخرة بالكلية لاستحالة أن يرجع إلى الحالة الأولى من النشاط والقوة.

وها هو الجاحظ يستنكر على شيخ لم يقدر لهذه المرحلة حق قدرها، فيقول:

أترجو أن تكونَ وأنت شيخٌ
كما قد كنتَ أيام الشباب
لقد كذبتْكَ ليسَ ثوبٌ
خليقٌ كالجديدِ من الثيابِ

٥- أن يكتب وصيته وماله وما عليه، كما جاء في الحديث المتفق عليه : «**ما حقٌّ امرئ مسلم له شيءٌ يريد أن يوصي فيه، يبيت ليلتين إلا ووصيته عند رأسه**» ولكن عليه أن لا يجوز بأن يزيد أو ينقص في وصيته عما شرعه الله تعالى كأن يخص أحد الورثة بشيء أو يحرم آخرين، أو يوصي بأكثر من الثلث من ماله صدقة بعد موته لقوله ﷺ لسعد رضي الله عنه : «**والثلث كثير**»[1] أو كما قال ﷺ «**إن الرجل ليعمل بطاعة الله أو المرأة ستين سنة ثم يحضرهما الموت فيضارّان في الوصية فتجب لهما النار**».

---

(١) رواه البخاري .

والحديث (فيه وعيد شديد وزجر بليغ وتهديد لأن مجرد المضارة في الوصية إذا كانت من موجبات النار بعد العبـــادة الطويلـــة في السنين المتعددة، بلا شك أنها من أشد الذنوب لأن الله سبحانه قد قيد ما شرعه من الوصية بعدم الضِّرار، فتكون الوصية المشتملة على الضرر مخالفة لما شرعه الله تعالى وما كان كذلك فهو معصية، وقد تقدم قريبا عن ابن عباس مرفوعا وموقوفا بإسناد صحيح أن وصية الضرر من الكبائر، وذلك مما يؤيد معنى الحديث فما أحق وصـــية الضرار بالإبطال)[1].

والمضارة هي إيصال الضرر بالحرمان أو بما يعـــد في الشـــرع نقصاناً إلى بعض من لا يستحق لولا هذه الوصية [2].

٦- أن يكثر من صلة الأرحام، وتعويض ما قصر فيه تجـــاههم فيما سلف، والإحسان إليهم لعل الخاتمة تنسي ما قبلها من تقصـــير أو إساءة.

٧- أن يعمل على التحلل ممن أخطأ في حقهم بغيبة أو تعـــد على حقوق مالية أو معنوية قبل أن لا ينفعه مال ولا بنون.

٨- أن يحرص على المكسب الحلال والمطعم والمشرب والملبس «**أطيب مطعمك تستجب دعوتك**»[3].

---

(١) الحديث رواه أحمد والترمذي وحسنه وأبو داود وابن ماجة : نيل الأوطار ، (٣٧/٦) للشوكاني ، مكتبة الباز بمكة المكرمة.

(٢) عون العبود ، (٤٩/٨).

(٣) رواه ابن مردوية والطرباني ، تفسير ابن كثير (٢٠٤/١).

٩- أن يرسم لنفسه برنامجاً يومياً في الزيادة من الذكر والعبادة يستثمر فيه ما بقي من عمره – خصوصا الأوقات الفاضلة – بحيث لا يتراجع عن هذا البرنامج، ويجاهد نفسه أن لا يتركه، بل يزيد عليه، والأصل أن هذا حال المسلم في كل سن، لكن من وصل إلى هذا السن بها أولى. وأسوق هنا المعالم الأساسية في البرنامج اليومي لرجل صالح عايشته، وسمعت من جيرانه وبعض أقاربه:

*الاستيقاظ قبل الفجر بزمن كافٍ ليصلي ما شاء الله له أن يصلي، ثم يوقظ أهل بيته عند الأذان ويذهب لصلاة الفجر، وبعدها يبقى في مصلاه ذاكرا حتى تطلع الشمس وترتفع فيصلي ركعتين رغبة في أجر حجة وعمرة تامة (١) كما صح عنه ﷺ.

*الذهاب للمسجد قبل الأذان لقراءة القرآن وصلاة الرواتب والنوافل، وليكون في ميمنة الصف الأول خلف الإمام كما هو حاله دائماً.

*صيام يومي الاثنين والخميس أو أحدهما من كل أسبوع.

*الصلاة من الضحى ما ييسر الله له.

*صلاة المغرب في مسجد فيه محاضرة أو درس علميٌّ ثلاث مرات في الأسبوع، وفي باقي أيام الأسبوع ربما بقي في المسجد القريب من بيته حتى ينتهي من صلاة العشاء في قراءة القرآن والذكر، لأنه قد تيقن أن المرء «**إذا صلى لم تزل الملائكة تصلي**

---

(١) رواه الترمي وهو في صحيح الجامع برقم (٦٢٢٢) ، ولمسلم قريب منه .

عليه ما دام في مصلاه : اللهم صل عليه اللهم ارحمه، ولا يزال أحدكم في صلاة ما انتظر الصلاة» [(١)].

*في بعض أيام الجمع يبقى في الجامع من صلاة الفجر إلى أن ينتهي من صلاة الجمعة، فإن لم يتيسر له ذلك فلا يفوته التفرغ التام للذكر آخر ساعةٍ من نهار الجمعة.

*وهو يختم القرآن تلاوة كل شهر عدة مرات، ويكاد يختمه حفظاً، وهو لا يحدث بذلك ولكن القريبين منه يلحظون ذلك في استدلالاته، وعند فتحه على إمام نسي أو أخطأ في القراءة في الصلاة من أي موضع من القرآن.

*لا يفوته أن يتصدق كل يوم ولو بشيء يسير، وربما اجتمع له في بعض الأيام الصدقة والصوم وعيادة المريض واتباع جنازة لعله ينال ما وعد به الرسول ﷺ في قوله : «**ما اجتمعن في امرئ إلا دخل الجنة**» [رواه مسلم].

*وهكذا يكرر هذا الأعمال العظيمة أو أكثرها، فقد وجد فيها متعا لا يذوقها ولا يعرفها إلا من عاش مثلها، كما قال شيخ الإسلام ابن تيمية : (إن في الدنيا جنة من لم يدخلها لم يدخل جنة الآخرة).

مع ملاحظة أنه لم يترك متابعة أمور أبنائه وبيته، ولكنه يفوض ويدرب أبناءه ويشرف عليهم، ويباشر أمور معاشه سويعات قليلة

(١) متفق عليه.

ضحى وبعد العصر، لكن قلبه معلق بالمساجد والدار الآخرة.[1]

وهو وغيره من الأخيار يعلمون أن أحسن الكلام كلام الله في كل شأن، فلم يترك الدنيا كلية بل اهتدي بقوله سبحانه وتعالى: ﴿**وَابْتَغِ فِيمَا آتَاكَ اللَّهُ الدَّارَ الْآخِرَةَ وَلَا تَنْسَ نَصِيبَكَ مِنَ الدُّنْيَا وَأَحْسِنْ كَمَا أَحْسَنَ اللَّهُ إِلَيْكَ**﴾[القصص:٧٧].

قال الحسن عندها: ما أحل الله لك منها، فإن لك فيه غنى وكفاية.

وقال أيضا : قدم الفضل، وأمسك ما يبلغك.

وقال الحسن وقتادة : معناه لاتضيع حظك من دنياك في تمتعك بالحلال وطلبك إياه، ونظرك لعاقبة دنياك.

قال ابن العربي : وأبدع ما فيه عندي قول قتادة : ثم قال القرطبي : ويا ما أحسن هذا [2].

قال الإمام مسلم (باب ما يلحق الإنسان من الثواب بعد وفاته، قوله ﷺ «**إذا مات الانسانُ انقطع عمله إلا من ثلاثة : من صدقة جارية، أو علم ينتفع به، أو ولد صالح يدعو له**» قال العلماء : معنى الحديث أن عمل الميت ينقطع بموته وينقطع تجدد الثواب له،

---

(١) تهذيب مدارج السالكين لابن القيم ، عبد المنعم العزي ، ص (٢٤٥) وزارة العدل بالإمارات.

(٢) تفسير القرطبي (١١٣/٢٠) تفسير القرطبي (٣١٤/١٣) وقريبا منه عند ابن كثير (٦٣٦/٣).

إلا في هذه الأشياء الثلاثة لكونه كان سببها، فإن الولد من كسبه، العلم الذي خلفه من تعليم أو تصنيف، وكذلك الصدقة الجاريـــة وهي الوقف)[1].

وأخيراً ليحرص صاحب الستين على أن يستمر عمله بعد موته بإحدى الثلاثة الأمور أو كلها التي ذكرها النبي ﷺ : «**إذا مات ابن آدم انقطع عمله إلا من ثلاث : صدقة جارية، أو علم ينتفع به، أو ولد صالح يدعو له**»[2].

والحمد لله أولا وآخرا وظاهراً وباطناً، وصلى الله وسلم وبارك على عبده ورسوله محمد ومن تبعه بإحسان إلى يوم الدين.



(١) شرح صحيح مسلم : (١١/٨٥).

(٢) رواه مسلم وغيره.

الفهرست

* * *